

تطوير الرسالة المتعلقة بالحاجات التربوية للطلاب الموهوبين والنابعين

• ربيكا إيكرت Rebecca D. Eckert

«مُلبَّ إلى بحار شاب، وهو في عرض البحر، أن يتسلق سارية السفينة لتعديل أحد الأشرعة في أثناء عاصفة قوية. وعندما وصل إلى منتصف المسافة، نظر إلى الأسفل، فأصيب بالدوار والغثيان. رآه أحد البحارة الأكبر سنًا وخبرة في هذه الحالة، فصاح قائلاً: «انظر إلى الأعلى يا بني .. إلى الأعلى». نظر البحار الشاب إلى الأعلى، فاسترد رباطة جأشه، وأنهى مهمته بنجاح». مغزى القصة: انظر إلى الأمام، لا إلى الخلف - مؤلف مجهول.

لا يُعدُّ النظر إلى الأعلى أمرًا سهلاً دائماً، خاصة عند إدارة البرامج والخدمات المخصصة للطلاب الموهوبين والتميزين بصورة يومية. لذلك، يجب أن يكون هدفنا واضحاً عند التخطيط للمهمة بكفاءة وفعالية، كما يجب أن نعرف الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما رسالة برنامجنا؟ كيف يمكننا ضمان نجاح برنامجنا الخاصة بالموهوبين؟ إلى أي مدى تُعدُّ مهمتنا جزءاً مكملًا لإنجاح البرامج والخدمات المقدمة للطلاب ذوي التحصيل العالي؟

في هذا الفصل، تُذكرنا ربيكا إيكرت أن صوغ بيان الرسالة أمر حاسم لأولئك المكلفين بتقديم أو تنسيق خدمات تربوية للطلاب الموهوبين. وتبدأ عملية كتابة بيان الرسالة بطرح الأسئلة الكبرى المتعلقة ببرامج الموهوبين، والبحث عن أفضل الإجابات وتضمينها في المحتوى. وتشمل هذه الأسئلة: - ما الخدمة؟ - لمن تُقدِّم؟ - ما أهمية هذه الخدمة؟ تُشكّل الإجابة عن هذه الأسئلة القاعدة الأساس لأيِّ معلِّم أو منسِّق في برامج تربية الموهوبين؛ لأنَّ أنشطة البرنامج الأخرى سوف تسترشد ببيان الرسالة، بطريقة أو بأخرى، خاصة أنَّ هذا البيان هو المبرر للخدمات التربوية. يُشبه بيان الرسالة مرساة السفينة بطرائق عدَّة، لأنَّه يُثبِّت الخدمات الموجهة لطلاب التحصيل العالي، ويضمن تقديمها.

يُعدُّ هذا الفصل فصلاً تأسيسياً؛ لذا، فهو يرتبط بجميع الفصول الأخرى في هذا الدليل، إلا أنه ينحاز بشدَّة إلى ثلاثة فصول مهمة جدًّا لبرنامج تربية الموهبة، هي: تطوير تعريف للموهبة (الفصل الثالث)،

وأيضاً غايات برنامج تربية الموهوبين (الفصل السادس)، والتخطيط الاستراتيجي وبرامج الموهوبين (الفصل الحادي والعشرون).

التعريف

يتكون بيان الرسالة من فقرة قصيرة مكتوبة، تُوضِّح أفكار المدرسة بخصوص طبيعة الموهبة، والحاجة إلى خدمات تربوية تلبّي الاحتياجات التعليمية للطلاب الموهوبين والمتفوقين. يُحدِّد البيان، بصورة عامّة، الطلاب الموهوبين والمتفوقين، ويذكر أسباب تقديم خدمات تربوية لهم، إضافة إلى ذكر هدف أو هدفين بارزين للبرنامج، ورسالة واضحة عن التزام المقاطعة التعليمية بتلبية الاحتياجات التعليمية لهؤلاء الطلاب. كما يمكن تقديم بيانات الرسالة على صورة فقرات، أو نقاط، أو كليهما.

الأساس المنطقي

مثل أي عمل تجاري ناجح، تستثمر المدارس الناجحة الموارد في وضع الرؤية، وتعزيز القيم؛ لأنها تدرك أنّ ثقافة المجتمع تُحدِّد كيف يعمل الناس معاً نحو التميز، وتذكر أسباب ذلك. ووفقاً لما قاله نولينغ (Knowling, 2002): «يحبّ معظم القادة إعداد استراتيجيات، إلا أنّ الرؤية والقيم هي التي تنتج العمل الاستراتيجي. ومن شأن غياب الرؤية أن يؤدي إلى فشل أية استراتيجية، خاصة استراتيجية التغيير» (ص ١٢٩). يساعد بيان الرسالة أعضاء الجماعة على فهم ما هو حاسم لنجاح أية مؤسسة أو برنامج ما، بما في ذلك برنامج تربية الموهوبين.

هناك العديد من الأسباب المهمة التي تستدعي وضع بيان رسالة واضح وقوي. وتقوم عبارات الرسالة بمهمة الإبلاغ عن البرامج التربوية المتاحة للطلاب الموهوبين وتشكيلها. ويمكن بيان الفلسفة الخاصّة بهؤلاء الطلاب واحتياجاتهم التربوية عبر مجموعة من العبارات المترابطة منطقيّاً. وعليه، سوف يتمكن التربويون، وأولياء الأمور، وأعضاء المجتمع الآخرون من فهم نظرة راسمي السياسات إلى تربية الموهوبين (Berg, Csikszentmihalyi, Nakamura, 2003, Starratt, 2003). كما أنّ بيان الرسالة الواضح، يُوفّر للمستفيدين في المقاطعة نقطة مرجعية موثوقة لفهم الأسباب التي أدت إلى اتخاذ القرارات والإجراءات المتعلقة بتربية الموهوبين والمتفوقين (Raynor 1998, Knowling, 2002). وختاماً، يُعدّ بيان الرسالة القاعدة التأسيسية التي تُبنى عليها المهمات الأخرى المذكورة في هذا الدليل. (Lawrence, 2002)، كما يُعدّ المسوغ للملامح الرئيسة المتبقية.

المبادئ الإرشادية

- تُوضِّح عبارات الرسالة الأفكار الخاصّة بكيفية تطوّر الموهبة والتميز.
- تُفسّر عبارات الرسالة دواعي توفير الخدمات التربوية للطلاب.
- ترتبط العبارات - فلسفيّاً - بالأهداف التربوية العريضة للنظام المدرسي.
- تعكس العبارات فهمًا لقوانين المقاطعة التعليمية وسياساتها.
- يجب أن تكون عبارات الرسالة واضحة وسهلة الفهم.

سمات بيان الرسالة عالي الجودة

الشمولية

- هل يُعرّف البيان، بصورة عامّة، مفهوم المقاطعة التعليمية لكلمة «موهوب»؟
- هل يُوضّح بيان الرسالة كيف يكون الطلاب موهوبين؟
- هل يعالج البيان، على نحو واسع، الاحتياجات الفكرية، والاجتماعية، والعاطفية للطلاب الذين حُدّدوا كموهوبين في مدارس المقاطعة التعليمية؟
- هل يُحدّد البيان واحداً أو اثنين من النتائج الرئيسة طويلة الأمد للبرنامج والخدمات؟
- هل يعالج البيان قضية المسؤولية؛ أي، مَنْ المسؤول عن تلبية احتياجات الطلاب ذوي التحصيل العالي؟

الأساس المنطقي

- هل يشمل البيان مبررات قوية لتقديم البرامج والخدمات التربوية للطلاب الموهوبين والتميّزين؟
- هل اعتمد البيان على النظريات التي اختُبرت ودعمت البحث؟

التناغم

- هل تتسجم الرؤية التربوية للطلاب الموهوبين والتميّزين مع الأهداف التربوية العامّة للمقاطعة التعليمية، كما نصّت عليها الخطة الاستراتيجية؟

الوضوح

- هل صيغ البيان بوضوح، مع اجتناب الرطانة التربوية، لكي يفهم المستخدمون (مثل: المعلمين، والإداريين، وأولياء الأمور، والطلاب، والأفراد العاديين) القصد منه؟

مثال يحتاج إلى تعديل

ربّما يتمتّع الطلاب الموهوبون أكاديمياً في مدينة جونزفيل الأمريكية بخصائص تستدعي تعليماً مختلفاً من حيث النوعية؛ لذا، فقد صُمم البرنامج الآتي لتوفير جوِّ حافز للطلاب ذوي التحصيل المتوسط:

السمّة	١ لا يتوافر دليل	٢ دليل ضعيف	٣ دليل مقبول	٤ دليل كبير	٥ دليل قوي
الشمولية		X			
الأساس المنطقي	X				
التناغم	X				
الوضوح		X			

إجراءات لتحسين بيان المهمة

غالبًا ما يكون للأهداف والمعتقدات معنى أقوى عندما تُطوّر بالتعاون مع فريق من الأفراد المهتمين بالمشروع (Richardson, 1996)؛ لذا، فإنّ الخطوة الأولى التي يُنصح بها في عملية المراجعة، هي تشكيل فريق عمل من التربويين لفحص السمات الأربع الآتية المحدّدة في بيان الرسالة ذي الجودة العالية فحصًا ناقداً. (انظر الخطوة ٤).

١. على الرغم من أنّ بيان رسالة مدرسة مقاطعة جونزفيل الأمريكية ينصّ صراحة على أنّ الطلاب المتفوّقين أكاديمياً ربّما يحتاجون إلى تعليم مختلف اختلافاً نوعياً، إلّا أنّ هذا البيان يتضمن دليلاً ضعيفاً على الشمولية؛ لذا، فقد خطّط الفريق، عند مراجعته ذلك البند، معالجة الأمور الآتية أو توضيحها:

- ما شكل الموهبة ومجالات المواهب والتميّز التي أغفلها بيان الرسالة الحالي، كالإبداع مثلاً؟
 - كيف يُطوّر الطلاب الموهبة؟ وماذا يمكن لمدرسة المقاطعة التعليمية أن تعمل لتكشف عن المواهب المستترة في مجال معين؟
 - تعرّف هدف أو هدفين عريضين للخدمات التي تُقدّم للطلاب الموهوبين والمتفوّقين.
 - مسؤولية المدرسة والمجتمع تجاه تلبية الاحتياجات التعليمية لهذه المجموعة الطلابية.
٢. لم يُقدّم بيان الرسالة الأصلي مسوّغاً يُفسّر الحاجة إلى توفير الجوّ المناسب الحافز للطلاب ذوي التحصيل المتوسط. كما احتاج فريق العمل إلى تبرير سبب توفير الخدمات التربوية لتلبية الاحتياجات التعليمية لهؤلاء الطلاب. فمع أنّه قد لا يكون جزءاً من بيان الرسالة النهائي، إلّا أنّ فريق العمل خطّط أيضاً لجمع دليل مبني على البحث يدعم تلك البيانات.

٣. لم يُظهر بيان رسالة جونزفيل - كما كتَبَ أصلاً - أيّ دليل على التناغم بين الأهداف والبرامج الأخرى داخل تلك المدرسة. ومن أجل تشكيل الخطط المستقبلية، والتأثير إيجابياً في قرارات المقاطعة التعليمية؛ يجب على بيان الرسالة أن يعكس عمق الروابط بين الأهداف التربوية العريضة لمدرسة المقاطعة، والأهداف العريضة للخدمات المتوفرة للطلاب الموهوبين والمتفوّقين.

٤. وأخيراً، فقد حدّ الإيجاز واستخدام المصطلحات التربوية (مثل الفروق النوعية) في بيان الرسالة الأصلي من وضوح الوثيقة وقيدته. وبعد الانتهاء من معالجة المشكلات الأخرى كلّها، يعتمزم الفريق الطلب إلى عينة واسعة من الأفراد قراءة هذه الوثيقة. وبناءً على التغذية الراجعة من هؤلاء الأفراد، سوف يُبسّط فريق العمل التفاصيل واللغة، أو يُغيّرهما لتضمينان وضوح مكونات الوثيقة للناخبين جميعهم.

المثال المعدّل

تتركز رسالة مدرسة جونزفيل الأمريكية على ضمان حصول كلّ طالب على فرص متساوية في برنامج ملائم من الخبرات التربوية. ويدرك مجلس إدارة المدرسة أنّ بعض الطلاب يمتلكون، أو يقدرون على امتلاك قدرات تعليمية استثنائية. وبما أنّ هؤلاء الطلاب ينحدرون من مختلف الطبقات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والإثنية، فإنّ مجلس إدارة المدرسة أكّد الآتي:

- تنفيذ التعديلات الخاصة بالمنهج، كما وُصفت في تصميم برنامجنا الشامل، داخل غرفة الصف العادية؛ لتوفير مستويات مستمرة من التحدي للطلاب كافة، بمن فيهم أولئك الذين يمتلكون مواهب وميزات فريدة. (انظر الفصول: ٧، ٨، ١٧).
- إجراء ترتيبات خاصة واسعة داخل الصفوف العادية ومجتمع المدرسة، إضافة إلى المجتمع المحلي؛ لتوفير تعليم متخصص يتكامل مع المنهج العادي والحاجات الذهنية والاجتماعية والعاطفية للطلاب الموهوبين والمتفوقين.
- تولي مدرسة المقاطعة والمجتمع المحلي مسؤولية ضمان:
 - مواصلة تعرّف الطلاب الموهوبين والمتفوقين.
 - تقديم الخدمات التربوية المناسبة والنظامية لتلبية الاحتياجات التعليمية الفريدة للطلاب الموهوبين والمتفوقين.

بعد ذلك، صمّم فريق العمل بيان الرسالة المذكورة آنفًا تصميمًا دقيقًا بصورة نقاط. وقد كان بإمكانهم التعبير عن المعلومات نفسها في فقرة أو فقرتين، كما في المثال الآتي:

يعتقد مجلس تربية سميث فيل بوجود طلاب موهوبين تتطلب مقدرتهم الفكرية، ومعدّل سرعتهم في التعلم، وقدرات الإبداع الكامنة لديهم خبرات منفصلة عن الغرفة الصفية العادية، لكنها مرتبطة بها. وبما أنّ هؤلاء الطلاب قد أظهروا أداءً عاليًا، وميلًا إلى التحصيل المرتفع في المجالات الفكرية، أو الفنية، أو الإبداعية، إضافة إلى امتلاكهم قدرات القيادة والتفوق في ميادين أكاديمية معينة؛ فهناك ضرورة إلى تزويدهم بخبرات وبيئات تعلم متنوعة ومناسبة ومستمرة تدمج احتياجاتهم الأكاديمية والنفسية والاجتماعية معًا. وبطبيعة الحال، فنحن نتحمّل مسؤولية تزويد الطلاب بالبدائل التربوية التي توسّع معارفهم وتحدّثها، وتؤكد، في الوقت نفسه، تطوير قدرات متعلمين مستقلين موجهين ذاتيًا، يطرحون الأسئلة باستمرار، ويحللون المعلومات والأفكار، ويركّبونها، ويقدمونها.

نحن نؤمن كذلك بأنّ الطلاب الموهوبين هم أفراد وأعضاء من المجتمع لديهم قدرات كامنة يستدعي اكتشافها، وتحقيقها، وتطويرها تضافر جهود العاملين في المدرسة على اختلاف مواقعهم. وفي ظلّ هذه الفلسفة، تتحمّل الهيئة التدريسية كلّها مسؤولية تلبية احتياجات الطلاب الموهوبين؛ عن طريق تعرّف مواهبهم وقدراتهم وتطويرها. كما تتطلب هذه الفلسفة شراكة قوية بين النظام المدرسي والمجتمع أيضًا. ولدى مقارنة الصياغتين المختلفتين ببعضهما بعضًا، سنلاحظ أنّ كلا البيانيين بدأ بتعريف واضح للموهبة، ووصف خدمات البرامج التي تتناول الاحتياجات المعرفية والوجدانية للطلاب، إضافة إلى الخدمات التي يمكن توفيرها في المجتمع الأوسع. وأخيرًا، فقد تطرقت البيانات إلى مسؤولية مدرسة المقاطعة إزاء توفير مستويات تتصف بالتحدي المتواصل للطلاب كافة، بمن فيهم الموهوبون والمتفوقون.

خطة استراتيجية لصوغ بيان رسالة خاصة بتربية الموهوبين والنابعين

أو مراجعتها

- الهدف: كتابة بيان رسالة خاصة بتربية الموهوبين والمتفوقين أو مراجعتها.
- الدليل: بيان رسالة مكتمل بخصوص تربية الطلاب الموهوبين والمتفوقين.
- المهام: كتابة بيان رسالة، أو مراجعة بيان رسالة موجود حاليًا.

الجدول الزمني: ٢٣ إبريل - عقد اجتماع للفريق الخاصّ المكلف بكتابة أو مراجعة بيان رسالة خاصّة بتربية الموهوبين (قد يكون هذا الفريق لجنة فرعية منبثقة عن لجنة التخطيط الاستراتيجي لمقاطعة المدرسة).

٨ مايو - إرسال مسوّد الوثيقة إلى أعضاء فريق المهمة الخاصّة لمراجعتها وتحريها.

٢٠ مايو - توزيع المسوّد على عينة واسعة من الأفراد لمراجعتها.

٢٧ مايو - تقديم بيان الرسالة المكتمل إلى مجلس الإدارة ومدير المدرسة لإقراره بصورة نهائية.

نموذج لصياغة فقرات الرسالة أو مراجعتها

ملحوظة: المادة في هذا الجزء ملخّصة في الجدول المرفق.

السمة	السؤال المحوري	تفكيرنا (رأينا)
الشمولية	ما المقصود بالموهبة؟	
	هل تتطوّر الموهبة؟ هل هي ميزة موروثية؟	
	كيف تختلف الاحتياجات الفكرية والاجتماعية والعاطفية للطلاب الموهوبين والمتفوقين عن أقرانهم من العمر الزمني نفسه؟	
	ما أهمية تلبية احتياجات التعلّم الفريدة هذه؟	
الأساس المنطقي	ما المبرر أو الحافز لتوفير الخدمات التربوية للطلاب الموهوبين والمتفوقين؟	
	هل تعتمد الإجراءات التربوية على فهم سياسات ولاية المقاطعة وأنظمتها المتعلقة بتربية الموهوبين؟	
	ما قاعدة البحث التي تدعم استنتاجاتنا؟	

السمة	السؤال المحوري	تفكيرنا (رأينا)
الاتساق الداخلي	ما الرابط بين الأهداف التعليمية العريضة للطلاب الموهوبين والمتفوقين، والأهداف التعليمية للطلاب جميعهم في المقاطعة أو في النظام التعليمي؟	
الوضوح	هل اللغة واضحة وخالية من الرطانة التربوية؟ هل هي مكتوبة بأسلوب يجعل القراء كافة يفهمون القصد من الوثيقة؟	

إرشادات مهمّة

تذكرّ عندما تبدأ بصياغة بيان الرسالة أنّ "تشكيل الرؤيا يتمّ، عادة، من خلال النظر إلى كلّ من الداخل والخارج؛ النظر إلى الأفراد داخل المدرسة، والنظر إلى التحديات خارج المدرسة التي تواجه المجتمع والأفراد، والتحديات التي يفترض من المدارس أن تُهيئ الصغار للتعامل معها، (Starratt, 1995, P.160). ربّما تساعدك الأسئلة الآتية على التفكير في عملية كتابة بيان الرسالة، إضافة إلى النتائج النهائي:

- هل بيان رسالتنا شامل؟
- هل يشمل بيان رسالتنا المبرّر أو الأساس المنطقي لتوفير الخدمات التربوية للطلاب الموهوبين والمتفوقين؟
- هل يتسق بيان رسالتنا مع الأهداف التربوية العريضة المرسومة للطلاب كافة في النظام أو المقاطعة؟
- هل حدّدنا المسؤول عن تلبية الاحتياجات التعليمية لهؤلاء الطلاب؟
- هل كتب بيان رسالتنا بمفردات مألوفة؟
- هل القصد من بيان الرسالة واضح للقراء كافة؟

ومع أنّ هذا الفصل يبحث في كيفية كتابة بيان الرسالة، فإنّ من المهم التفكير في ما سيحدث عند اكتمال البيان. كيف سيستعمل بيان الرؤية والقيم لتوجيه تطوير البرنامج والخدمات المخصّصة للطلاب الموهوبين؟

ختاماً، سوف يتولى مُنسّق تربية الموهوبين وأعضاء فريق المهمة الخاصّة والإداريون مسؤولية تنفيذ بيان الرسالة.

نصيحة للممارس المنفرد

على الرغم من أنّ بناء الإجماع هو أحد أهمّ الفوائد الجانبية لصياغة بيان الرسالة، إلا أنّ المعلم المنفرد قد يحصل على مردود إيجابي من شرح رؤية مثالية للتعليم المخصّص للطلاب الموهوبين والتمفّوقين في مقاطعته. ابدأ بجمع البيانات الخاصّة بأهداف المدرسة والمقاطعة ورسالتكما، إضافة إلى السياسات والقرارات ذات العلاقة بتربية الموهوبين. بعد ذلك، ابحث عن أمثلة على بيانات الرسالة بوساطة شبكة الإنترنت، أو من المقاطعات التعليمية المجاورة لتعيّنك على توجيه تفكيرك. أمّا إذا عجزت عن تجميع فريق مهمات خاصّة يساعدك على تطوير الرسالة، فحاول الحصول على تغذية راجعة من بعض أصحاب الدراية والخبرة الذين يعرفون طلابك ونظام مدرستك جيّداً. وحالما تكون راضياً عن نصّ الرسالة المُنتج والدقيق، كن مستعداً لإشراك مجتمع مدرستك في هذه الرؤية، ثمّ ابدأ العمل.

REFERENCES

- Berg, G. A., Csikszentmihalyi, M., & Nakamura, J. (2003). A mission possible? Enabling good work in higher education. *Change*, September-October, 41-47.
- Knowling, R. (2002). Why vision matters. In F. Hesselbein & R. Johnston (Eds). *On mission and leadership* (pp. 128-140). San Francisco: Jossey-Bass.
- Lawrence, D. M. (2002). Maintaining a mission: Lessons from the marketplace. In F. Hesselbein & R. Johnston (Eds), *On mission and leadership* (pp. 89-101). San Francisco: Jossey-Bass.
- Raynor, M. E. (1998). That vision thing: Do we need it? *Long Range Planning*, 31, 368-376.
- Richardson, J. (1996). If you don't know where you're going, how will you know when you arrive? *School Team Innovator*, September. Retrieved September 5, 2004, from www.nsd.org
- Starratt, R. J. (1995). *Leaders with vision: The quest for school renewal*. Thousand Oaks, CA: Corwin.